ولاية العهد في إمارة بني أمية في الأندلس وأثرها في تثبيت البيت الأموي

١٣٨-٣١٦هـ /٧٥٥ - ٩٢٨م

د. منيرة بنت عبدالرحمن الشرقي
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

كان بنو أمية في المشرق أول من أوجد نظام ولاية العهد في الإسلام، وتمكنوا من توارث الحكم قرابة قرن من الزمان. وعندما سقطت خلافة بني أمية في المشرق على يد العباسيين عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م تمكن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل) من الفرار إلى الأندلس، ونجح في حكمها إلا أن هدفه كان أبعد من حكمه للأندلس، فقد كان يتطلع إلى إعادة حكم بني أمية في الأندلس بعد أن سقطت دولتهم في المشرق، ولن يتمٍ ذلك إلا بإيجاد منصب ولاية العهد، وذلك المنصب الذي لم يكن معمولاً به من قبل في الأندلس، فقد كانت الأندلس إحدى ولايات الخلافة الأموية في المشرق. ونجح بنو أمية في تحقيق هدفهم، فتوارثوا حكم الأندلس قرابة قرنين من الزمان. فكيف كان موقف بني أمية في عصر الإمارة من منصب ولاية العهد وأثر ذلك في تثبيت حكمهم؟

موقف عبدالرحمن الداخل من ولاية العهد:

أولى عبدالرحمن الداخل اهتماماً كبيراً لمنصب ولاية العهد رغبة منه في إيجاد مكان لبني أمية في حكم الأندلس، وعند دراسة المصادر التي كتبت حول موقف الأمير عبدالرحمن الداخل من ولاية العهد يتبين لنا اتجاهان:

الاتجاه الأول:

يرى أن عبدالرحمن الداخل قد أخذ ولاية العهد لاثنين من أبنائه، وهما: سليمان وهشام، ويمثل هذا الرأي كل من ابن عذاري الذي قال: إن الداخل "قد عقد العهد لابنيه هشام وسليمان"(١)، وابن الخطيب الذي يشير إلى أن الداخل "قد عقد الخلافة لابنيه هشام وسليمان"(٢)، ولكن أصحاب هذا الاتجاه لم يحددوا لمن عهد عبدالرحمن الداخل بالحكم أولاً لسليمان أم لهشام، إلا أنهما ذكروا أن الداخل قد عهد إلى ابنه الثالث عبدالله بأن يولّى الحكم من يقدم أولاً إلى قرطبة بعد وفاته؛ لأن كلاً منهما يحمل مؤهلات الحكم، فسليمان الذي كان والياً على طليطلة امتاز بكبر سنه وحب الشاميين له(٣)، أما هشام الذي كان والياً على ماردة(٤)، فامتاز بتدينه واجتماع الكلمة عليه(٥).

ونجح هشام في الوصول إلى قرطبة قبل أخيه سليمان، وبذلك حصل على الحكم(٦)، وقد أيد هذا الرأي بعض الدارسين(٧).

---

(١) ابن عذاري، أبو العباس أحمد (نهاية القرن السابع الهجري): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٦٠.

(٢) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله الغرناطي (٧٦٦هـ): تاريخ أسبانيا الإسلامية، الجزء الثاني من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م، ص ١١.

(٣) ابن عذاري، ج٢، ٦٢. ابن الخطيب، تاريخ أسبانيا، ص ١١.

(٤) مدينة بجو في قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلاً. الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم (ت ٧٢٧ هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م، ص ٥١٨.

(٥) ابن عذاري، ج ٢، ص ٦٢. ابن الخطيب، تاريخ أسبانيا، ص ١١.

(٦) ابن عذاري، ج ٢، ص ٦٢. ابن الخطيب، تاريخ أسبانيا، ص ١١.

(٧) إبراهيم بيضون، الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط قرطبة، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م، ص ٢١١-٢١٢. السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٢١٣. عبدالمجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦م، ص ١٧١-١٧٢.

الاتجاه الثاني:

يرى أن عبدالرحمن الداخل لم يأخذ ولاية العهد سوى لواحد من أبنائه، وهو هشام، ويمثل هذا الاتجاه كل من ابن الأثير وابن الأبار والنويري وابن خلدون والمقري(٨)، ويرى أصحاب هذا الرأي أن عبدالرحمن الداخل قد جعل الكفاءة، وليس كبر السن أساساً لاختيار ولي العهد، فيذكر ابن الأثير ذلك بقوله: "إنه كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الأمر؛ فلهذا عهد إليه"(٩)، ويؤكد النويري على ذلك بقوله: "وكان أبوه قد عهد إليه قبل وفاته، وقدمه على سليمان وهو أكبر منه؛ لأنه يتوسم فيه الشهامة"(١٠)، ويرى المقري أن عبدالرحمن الداخل قد عهد إلى هشام بعد مقارنته بسليمان - الأكبر - وتبين له أنه أكثر كفاءة(١١).

وعند مقارنة الروايات السابقة يتبين عدم صحة الرأي الأول، فليس مستغرباً أن يولي العهد اثنين، خاصة وأن ذلك كان معمولاً به لدى بني أمية في الشام، إلا أن بني أمية في الشام كانوا يحددون من

---

(٨) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م، ج٥، ص ٨٤. ابن الأبار، أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م، ج١، ص ٤٢. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب محمد بن عبدالدائم (ت٧٣٢هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي ومحمد مصطفى زيادة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ج٢٣، ص ٣٥٢. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ج٤، ص ١٢٤. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٦م، ج١، ص ٣٢٠.

(٩) ابن الأثير، ج ٥، ص ٨٣.

(١٠) النويري، ج ٣، ص ٣٥٢.

(١١) المقري، ج١، ص ٣٢٠.

يتولى أولاً. ولكن المستبعد أن يترك الأمر دون تحديد من يتولى الإمارة أولاً، ويجعل سرعة الوصول إلى العاصمة بعد وفاة الأمير هو الأساس، خاصة إذا عرفنا الجهد الذي بذله الأمير عبدالرحمن الداخل في تأسيس حكم بني أمية في الأندلس حيث قضى سنوات حكمه في التصدي للثورات المختلفة، تارة بالحيلة، وتارة بالقوة والسلاح(١٢)، فلا يعقل بعد هذا الجهد أن يترك مسألة ولاية العهد دون حسم وتحديد ولي للعهد.

ولعل الاتجاه الثاني أكثر صحة ومنطقية، فعلاوة على المؤهلات الشخصية التي يتمتع بها هشام فإنه بتوليه الحكم سيكسب تأييد المولدين - الذين يشكلون نسبة كبيرة من السكان - لأن والدته منهم، وتدعى حلل أو جمال(١٣)، خاصة وأن بني أمية حديثو عهد بالأندلس فتأييد السكان يعد مطلباً أساسياً لاستمرار حكمهم في هذه المنطقة، وتزداد أهمية تأييد المولدين لبني أمية إذا علمنا أن عبدالرحمن الداخل لم يثق بالعرب قيسية ويمنية، فقد رفضت القيسية مساعدة الداخل في الوصول إلى الحكم، وساندته اليمنية في بادئ الأمر وبمساعدتهم تمكن من الانتصار في معركة المسارة، ولكنه شك في ولائهم، وثار عدد من زعمائهم طلباً للحكم، فتصدى لهم بالقتل والإبعاد عن المناصب السياسية، لذا كان بحاجة إلى مؤيدين من غير العرب لإقامة حكم بني أمية، ووجد ذلك في المولدين جل سكان الأندلس.

إن حرص عبدالرحمن الداخل على قيام حكم بني أمية في الأندلس بعد أن سقطت دولتهم في المشرق جعله يتجاوز مسألة السن، ويجعل الكفاءة والتأييد هما المعياران الرئيسان لاختيار ولي

---

(١٢) عن الثورات التي واجهت عبدالرحمن الداخل، انظر: ابن عذاري، ج ٢، ص ٤٨-٥٨. ابن خلدون، ج ٤، ص ١٢٠- ١٢٤. إبراهيم بيضون، ص ١٨٤-١٩٢. السيد عبدالعزيز سالم، ص ١٩٧-٢٠٤. عبدالمجيد نعنعي، ص ١٥٢-١٥٨.

(١٣) ابن عذاري، ج٢، ص ٦١. النويري، ج ٢٣، ص ٣٥٢.

العهد، فعين هشامًا ولياً للعهد منذ عام ١٥٥هـ/ ٧٧٢م(١٤)، متجاوزاً بذلك سليمان أكبر أبنائه؛ لأن بقاءهم في الأندلس يعني استمرار وجودهم، فلو لم يكتب لهم البقاء في الأندلس لقضي عليهم بسيوف بني العباس.

وقد ناقش د. عبدالغفور روزي في بحثه عن "هشام بن عبدالرحمن الداخل وأسباب خلافته أباه في الإمارة" روايات المؤرخين المختلفة مركزاً على رواية ابن عذاري وتوصل إلى أن عبدالرحمن الداخل قد جعل ولاية العهد لابنه هشام سراً في أواخر عهده بعد عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م، وأنه كان في بداية عهده يميل لتولية سليمان؛ لأنه أكبر أبنائه وأن أمه عربية متبعاً بذلك نهج بني أمية في المشرق في تولية أكبر الأبناء ومن كانت أمهاتهم عربيات، واستدل بذلك على أن عبدالرحمن الداخل قد ولى سليمان مدينة جيان قبل هشام، وأنه قرر الذهاب إلى الشام في عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م لانتزاعها من العباسيين على أن يستخلف سليمان في الأندلس، ولكنه بعد تراجعه عن هذه الفكرة نتيجة لثورة الحسين الأنصاري اتجه إلى الاستقرار في الأندلس، وجعل هشامًا ولياً لعهده نظراً لميوله الفكرية.

ونتفق مع د. روزي على تعيين عبدالرحمن الداخل ابنه هشامًا ولياً لعهد قبل وفاته(١٥). ولكن الاختلاف معه في تحديد تاريخ هذا التعيين وسببه، فيرى د. روزي أن ذلك بعد عام ١٦٣هـ/ ٧٩٧م متجاهلاً روايتي النويري والمقري اللتين ذكرا فيهما صراحة تعيين عبدالرحمن الداخل لابنه هشام ولياً لعهده عام ١٥٥هـ/ ٧٧٢م عندما خاطب عبدالرحمن ابن عمه عبدالملك بن عمر المرواني بعد قضائه على ثورة إشبيلية التي قادها عبدالغفار وحيوه بن ملامس بقوله:

---

(١٤) النويري، ج ٢٣، ص ٣٤٥.

(١٥) عبدالغفور بن إسماعيل روزي: هشام بن عبدالرحمن الداخل وأسباب خلافته أباه في الإمارة: دراسة تحليلية لروايات ولاية العهد في العصر الأموي المبكر في الأندلس، مجلة جامعة الملك سعود، م ١٥، الآداب، (٢)، الرياض، ١٤٢٣هـ.

"يابن عم قد أنكحت ابني ولي عهدي هشاما ابنتك فلانة، وأعطيتها كذا وكذا..."(١٦)، أما عن تعيين سليمان على جيان قبل هشام فلفارق السبب بينهما، حيث إن سليمان يكبر أخاه هشام باثني عشر عاماً، ومن المستبعد أن يكون عبدالرحمن الداخل قد عين هشامًا ولياً للعهد جاعلاً ميوله الفكرية واهتمامه بالعلم أهم أسباب الاختيار، فكان هدف عبدالرحمن الداخل تقديم هشام على سليمان أكبر من ذلك؛ ليضمن التأييد لحكم بني أمية في الأندلس خاصة وأنهم حديثو عهد بالأندلس، وهذه أول مرة يتوراث فيها الحكم في الأندلس منذ أن فتحها المسلمون في عام ٩٢هـ/ ٧١١م، فوصول هشام إلى الحكم نجاح لبني أمية في تثبيت أقدامهم في حكم الأندلس. ولعل عبدالرحمن الداخل هو الذي أمر بحجب أمر وفاته عن ابنه سليمان لمدة ستة أيام(١٧)؛ ليتمكن هشام من الوصول من ماردة إلى قرطبة ليبايع بيعة عامة حتى لا يحدث انشقاق في حكم بني أمية قبل أن يتوارث، ولعلمه بعدم موافقة ابنه سليمان على تعيين أخيه هشام ولياً للعهد. وقد أكدت الأحداث حسن اختيار عبدالرحمن الداخل لولي عهده هشام الذي حظي بتأييد جميع سكان الأندلس، فبويع مبايعة عامة بعد وفاة والده(١٨)، وعرف هشام الرضا ضرورة تأييد المولدين له لاستمرار حكمه؛ فأحسن إليهم، وقرب إليه عددًا من فقهائهم، وكان لا يقطع أمراً دون مشاورتهم، مثل: طالوت بن عبدالجبار وعيسى بن دينار ويحيى بن يحيى الليثي(١٩).

---

(١٦) النويري، ج ٢٣، ص ٣٤٥، المقري، ج ٤، ص ٦٠.

(١٧) ابن الأثير، ج٥، ص ٨٤. ابن عذاري، ج ٢، ص ٦١. النويري، ج ٢٣، ص ٣٥٣.

(١٨) ابن الأثير، ج ٥، ص ٨٤. النويري، ج٢٣، ص ٣٥٢.

(١٩) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم (ت ٣٦٧هـ): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٩٤م، ص ٩٣. وعرف هشام بالرضا لعدله وفضله وتدينه. انظر ابن الأبار، ج ١، ص ٤٢.

مما سبق يتبين لنا أن عبدالرحمن الداخل جعل الأساس في ولاية العهد الكفاءة والتأييد، وعلى هذا سار بنو أمية في عصر الإمارة. واختلفت نظرة الأمير عبدالرحمن الداخل وابنه سليمان في ولاية العهد، ففي الوقت الذي حرص فيه الأمير عبدالرحمن الداخل على استمرار حكم بني أمية في الأندلس كانت نظرة سليمان تتحصر في وصوله إلى الحكم، فما هو موقفه من تولي أخيه هشام الإمارة؟ وكيف تعامل معه هشام؟

يتبين أن عبدالرحمن الداخل جعل الأساس في ولاية العهد الكفاءة والتأييد

محاولات سليمان بن عبدالرحمن للوصول إلى الحكم:

حظي هشام الرضا بتأييد الأمويين وجل سكان الأندلس لحكمه ما عدا أخاه سليمان الذي كان يرى أنه أحق منه بالحكم لكبر سنه(٢٠)، فاستقل بطليطلة، وأخذ البيعة لنفسه من سكانها والمناطق المجاورة لها(٢١).

وبهذا الوضع أصبح هناك أميران أمويان في الأندلس أحدهما شرعي بعهد من والده، وهو هشام في العاصمة قرطبة، والآخر منتزٍ في وسط الأندلس، وهو سليمان، وحاول سليمان أن يمد نفوذه خارج طليطلة، ويضم المؤيدين، ولكنه فشل في ذلك لكثرة المؤيدين لأخيه هشام. ويؤكد هذا حسن اختيار عبدالرحمن لولي عهده، فلجأ سليمان إلى استخدام الخيار العسكري.

اتسم هشام الرضا بالرصانة والتريث، فلم يتعجل في الخروج لمحاربة أخيه سليمان في بداية توليه الحكم، بل ظل مقيماً في

---

(٢٠) ابن عذاري، ج ١، ص ٦١.

(٢١) ابن عذاري، ج ٢، ص ٦٢. ابن الأبار، ج١، ص ٣٦٣. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله الغرناطي (ت٧٦٦هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤م، ج ٤، ص ٢٧٤. ابن خلدون، ج٤، ص ١٢٤.

العاصمة قرطبة، ولعله كان يأمل أن يعود سليمان إلى الطاعة، أو لعله لم ير خطورة في ادعاء سليمان إذا لم تتجاوز دعوته طليطلة.

ولكن الوضع تغير بعد سبعة أشهر من تولي هشام الإمارة وذلك في عام ١٧٣هـ/ ٧٨٨م عندما خرج عبدالله بن عبدالرحمن - الأخ الثالث - من قرطبة إلى طليطلة مؤيداً لسليمان بعد فشله في الوصول إلى هدفه في مشاركة أخيه هشام الرضا في الحكم، ولم يكتف بحسن معاملة هشام له(٢٢).

وهنا أحس هشام الرضا بخطورة هذا الوضع، خاصة بعد فشله في محاولة إعادة أخيه عبدالله إلى العاصمة قرطبة(٢٣)، فقرر أن يواجه أخويه سليمان وعبدالله عسكرياً؛ لذا خرج هشام على رأس جيش متجهاً إلى طليطلة، فاستغل ذلك سليمان، وخرج من طليطلة باتجاه قرطبة بعد أن ترك أخاه عبدالله في طليطلة، فنزل بشقندة(٢٤)، إلا أن أهل قرطبة تمكنوا من هزيمة سليمان في ظل غياب هشام عن قرطبة؛ ويؤكد هذا الولاء لهشام الرضا، فتراجع سليمان عن قرطبة، واتجه إلى ماردة، فنجح واليها من هزيمة سليمان وإبعاده عنها، فاتجه إلى تدمير(٢٥). أما هشام فقد عاد إلى قرطبة بعد أن حاصر طليطلة لمدة شهرين مانعاً بذلك سليمان من العودة إليها، وعندما تبين لعبدالله تراجع أخيه سليمان وهزائمه المتتالية قرر العودة إلى الطاعة، ففي عام ١٧٤هـ/ ٧٨٩م اتجه إلى أخيه هشام دون عهد أو أمان، فأحسن هشام استقبال أخيه عبدالله وأمنه(٢٦).

---

(٢٢) ابن عذاري، ج٢، ص ٦٢. النويري، ج٢٣، ص ٣٥٣:
Levi-Provencal, Histoire de l'espagne muslman, Paris, 1950, 1, p.139.

(٢٣) ابن عذاري، ج٢، ص ٦٢.

(٢٤) شقندة قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها. الحميري، ص ٣٤٩.

(٢٥) ابن عذاري، ج ٢، ص ٦٢. وتدمير في شرق الأندلس، وتتكون من سبع مدن وسميت باسم ملكها. الحميري، ص ١٣٠ - ١٣٢.

(٢٦) ابن عذاري، ج٢، ص ٦٣. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ١١. النويري، ج٢٣، ص ٣٥٣.

ولعل قبول هشام لأخيه عبدالله كان دافعاً لسليمان لطلب الأمان من أخيه هشام بعد أن توالت عليه الهزائم من قبل ابن أخيه عبدالملك في تدمير، فوافق هشام على طلب أخيه سليمان، ولكنه اشترط عليه الخروج من الأندلس إلى المغرب مقابل ستين ألف دينار، فوافق سليمان على ذلك(٢٧).

إن نجاح هشام الرضا في التعامل مع أخويه سليمان وعبدالله والقضاء على ثورتيهما دون خسائر في الأرواح دليل على حسن اختيار عبدالرحمن الداخل لولي عهده، وقد استمر هشام الرضا أميرا على الأندلس بقية حياته دون منافس.

موقف هشام بن عبدالرحمن (الرضا) من ولاية العهد:

إن وصول هشام الرضا إلى الحكم بعهد من والده ونجاحه في استمرار بني أمية في الحكم وتصديه لأخويه سليمان وعبدالله جعله يحرص على تأييد السكان له بحفظ الأمن وحسن المعاملة ومواجهته للخطر النصراني في الشمال، فكان أول من سير الصوائف لحماية حدود المسلمين الشمالية منذ عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م، علاوة على أن عهد هشام الرضا لم يشهد ثورات تذكر.

وبقدر اهتمامه بالأوضاع السياسية الداخلية والخارجية حرص على أن يثبت أقدام بني أمية في الحكم، فسلك نهج والده عبدالرحمن الداخل من جعل الكفاءة والتأييد هما الأساس لاختيار ولي عهده، فاختار ابنه الحكم ولياً للعهد لما عرف عنه من الحزم والشجاعة والقوة وسيره على نهج والده من تقريب الفقهاء وأهل العلم(٢٨)، متجاوزاً بذلك أكبر أبنائه عبدالملك، والذي كان قد عهد

---

(٢٧) ابن الأثير، ج٥، ص ٨٦. ابن الأبار، ج٢، ص ٣٦٣. ابن عذاري، ج٢، ص ٦٣. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ١١. ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٢٧٤. النويري، ج٢٣، ص ٣٥٤. ابن خلدون، ج ٤، ص ١٢٤.

(٢٨) ابن عذاري، ج ٢، ص ٧٨. النويري، ج ٢٣، ص ٣٧٤- ٣٧٥. المقري، ج١، ص ٣٢٤.

إليه بقيادة الجيش لتتبع أخيه سليمان بن عبدالرحمن، ونجح في إبعاده عن قرطبة فاتجه إلى ماردة(٢٩). إلا أن هشام الرضا تغير على ابنه عبدالملك، وسجنه، فظل مسجوناً بضعة عشر سنة حتى مات في السجن في أثناء حكم أخيه الحكم. ولعل استمرار سجن عبدالملك حتى وفاته يدل على عظم ما ارتكبه في حق والده أو الدولة(٣٠)، لكن المصادر لا تسعفنا لمعرفة سبب نكبة هشام الرضا لابنه عبدالملك وسجنه وهو الذي عرف عنه الحلم والأناة. ويبدو أن عبدالملك ارتكب خطأ لا يغتفر ليلقى هذا الجزاء كتأييده لبعض الثوار أو مساندته لعميه سليمان وعبدالله في ثورتيهما أو محاولة الثورة ضد أبيه. إلا أن موقف هشام الرضا من ابنه عبدالملك لم يؤثر على علاقة هشام بأبنائه أو ببني أمية أو سكان الأندلس عامة.

أخذ هشام الرضا البيعة بولاية العهد لابنه الحكم محققاً بذلك شرطي الكفاءة والتأييد، فتحققت الكفاءة بقوة الحكم وحزمه، وحصل التأييد لبني أمية من سكان الأندلس بحسن سياسية والده هشام الرضا وتقربه من السكان.

ولاية الحكم الربضي وموقف عميه من حكمه:

عند وفاة هشام الرضا عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م بويع الحكم الربضي أميراً على الأندلس، وأقر بحكمه جميع بني أمية وسكان الأندلس ما عدا عميه سليمان وعبدالله المقيمين في المغرب اللذين قررا العودة إلى الأندلس والمطالبة بحقهما في الحكم.

عبر عبدالله بن عبدالرحمن - أولاً - إلى شرقي الأندلس عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م، وأقام ببلنسية في ذلك العام، وأرسل إلى أخيه

---

(٢٩) ابن عذاري، ج٢، ص ٦٢.

(٣٠) ابن حزم، أبو عبدالله علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م ص ٩٥. المقري، ج١، ص ٣٢٤.

سليمان يدعوه للقدوم إليه(٣١). ولما فشل في الحصول على العون والمساعدة من سكان بلنسية في محاولته للثورة على ابن أخيه الحكم اتجه إلى سرقسطة مستغلاً ثورة البهلول بن مرزوق، ولكنه لم يحظ بتأييد هناك(٣٢). مما اضطره إلى الاتجاه خارج الأندلس طالباً المساعدة والعون من أعداء الأمويين، فجعل وجهته إلى إكس لاشابل (Aix. La. Chapelle) عاصمة الفرنجة، فالتقى بشارلمان، ولكنه فشل في الحصول على مساعدته، ولعل هزيمة شارلمان في عهد عبدالرحمن الداخل كانت سبباً في رفضه وتخوفه من التدخل في أحداث الأندلس الداخلية(٣٣).

---

(٣١) ابن عذاري، ج٢، ص ٦٢. ابن سعيد، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت ٦٥٨هـ): المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م، ج١، ص ٣٩. وعرف الحكم بالربضي نسبة لثورة الربض التي حدثت في عهده عام ٢٠٠هـ وقضى عليها بقوة. انظر ابن الأبار، ج ١، ص ٤٤.

(٣٢) ابن الأثير، ج٥، ص ١٠١. ابن سعيد، ج١، ص ٣٩. ابن خلدون، ج٤، ص ١٢٥. عن ثورة البهلول انظر: ابن عذاري، ج ٢، ص ٦٩. عبدالمجيد نعنعي، ص ١٨٤.

(٣٣) ابن عذاري، ج٢، ص ٦٩. النويري، ج ٢٣، ص ٣٦١. محمد محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي: ٧٧٥ - ٩٧٦م/١٣٦- ٣٣٦هـ، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص ١٦٣. إبراهيم بيضون، ص ٢١٨-٢١٩.
Deanesly, History of Early Medieval Europe , London, pp., 195 , 353.

وكان شارلمان قد شارك في الهجوم على سرقطة في عهد عبدالرحمن الداخل عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م بدعوة من سليمان بن يقطان الكلبي الثائر في سرقسطة على أن يسلمه مدينتي سرقسطة وبرشلونة، فوافق شارلمان حتى يأمن حدود بلاده الجنوبية، وتحقيق مشروعه في إحياء الإمبراطورية الرومانية، وقد أيد الخليفة العباسي المهدي هذا الهجوم على الأندلس، إلا أن محاولة شارلمان وسليمان بن يقظان باءت بالفشل، إذ رفض سكان سرقسطة تسليم مدنهم لغير مسلم، فحاصرها شارلمان، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار عندما علم بثورات القبائل السكونية في بلاده، وعاد إلى بلاده. وفي طريق عودته هاجم البشكيس مؤخرة جيش شارلمان في ممر رونسفال في جبال البرنية، وقتل عدداً من القادة، من أبرزهم رولان. انظر مؤلف مجهول (عاش في القرن الرابع الهجري): أخبار مجموعة في افتتاح الأندلس، وذكر من وليها من الأمراء إلى دخول عبدالرحمن بن معاوية =

ولهذا الفشل قرر عبدالله العودة إلى بلنسية وترقب نتائج الصراع الذي كان قد اشتعل بين أخيه سليمان وابن أخيه الحكم(٣٤).

عبر سليمان بن عبدالرحمن بجموع البربر عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م، ونزل بجنوبي الأندلس، وقرر الاتجاه مباشرة إلى العاصمة قرطبة لمواجهة الحكم الربضي، وبالقرب من قرطبة التقى سليمان بجيش الحكم، وهزم سليمان، فتراجع إلى الجنوب. وفي عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م كان اللقاء الثاني بين الحكم وسليمان، فهزم سليمان في أستجة(٣٥)، فتراجع إلى جيان(٣٦) ثم إلبيرة(٣٧)، وانضم إليه أعداد من سكان هاتين المنطقتين، والتقى بالحكم في المرة الثالثة إلا أن النصر كان حليف الحكم؛ ففر سليمان إلى ماردة بعد قتل أعداد كبيرة من أتباعه، فأرسل الحكم جيشاً تمكن من أسر سليمان وقتله بأمر الحكم عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، وكان قد رفض طلب الأمان الذي قد تقدم به سليمان إلا أن الحكم آمن أبناء عمه سليمان(٣٨)، وبهذا باءت محاولات سليمان بن عبدالرحمن بالوصول إلى الحكم بالفشل والتي بدأها في عصر أخيه هشام، ونتج عنها نفيه إلى المغرب، وجددها في عهد ابن أخيه الحكم، فكان مصيره القتل.

= وتغلبه عليها وملكه فيها هو وولده، والحروب الكائنة في ذلك بينهم، مدريد، ٨٦٧، ص ١١٠- ١١٤. ابن خلدون، ج ٤، ص ١٢٤. محمد محمد مرسي الشيخ، ص ١٣٨- ١٥٨.

(٣٤) ابن الأثير، ج٥، ص ١٠٢. ابن خلدون، ج ٤، ص ١٢٥.

(٣٥) أستجة كورة تقع على نهر سنجل تبعد عن قرطبة عشرة فراسخ، وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة. ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩م، ج١، ص ١٧٤.

(٣٦) مدينة تشتهر بالزراعة والتجارة وإنتاج الحرير، وتبعد عن بياسه ٢٠ ميلاً. الحميري، ص ١٨٣.

(٣٧) مدينة من تأسيس عبدالرحمن الداخل وتبعد عن غرناطة ستة أميال. الحميري، ص ٨٣.

(٣٨) ابن الأثير، ج٥، ص ١٠٢، ١٠٧ - ١٠٨. ابن سعيد، ج١، ص ٣٩ - ٤٠. ابن عذاري، ج٢، ص ٧٠. ابن الخطيب، تاريخ أسبانيا، ص ١٥. ابن خلدون، ج ٤، ص ١٢٥.

أثار قتل سليمان الخوف في نفس أخيه عبدالله الذي ظل مقيماً في بلنسية حتى عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م عندما بدأت مراسلات الصلح بين الحكم الربضي وعمه عبدالله على يد يحيى بن يحيى الليثي، والتي أسفرت في عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م عن عفو الحكم عن عمه، واشترط عليه الإقامة في بلنسية مقابل مرتب شهري قدره ألف دينار غير الصلات والهبات، ونقل أبناء عبدالله للإقامة في العاصمة قرطبة(٣٩).

ولعل قبول الحكم الربضي تأمين عمه عبدالله في الوقت الذي كان قد رفض العرض نفسه من عمه سليمان لكون عبدالله لم يسير جيشاً أو يخض حرباً ضد ابن أخيه الحكم، أو لمعرفة الحكم بفشل عبدالله من ضم المؤيدين إلى جانبه، لذا فلم يشكل خطورة عليه. ولعل الحكم نقل أبناء عمه عبدالله للإقامة في قرطبة حتى يضمن التزام عمه بالطاعة. فظل عبدالله مقيماً في بلنسية ملتزماً بالطاعة طوال عصر الحكم الربضي وحتى وفاته في عام ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م(٤٠).

نجاح بني أمية في توارث الحكم في الأندلس:

ظهر نجاح بني أمية في توارث الحكم في الأندلس في عصر الحكم الربضي، ولم يكن هذا بسبب قوة الحكم في قمع الثورات وتثبيت حكم بني أمية في الأندلس، أو لتوارث ثلاثة من بني أمية في الحكم فقط، وإنما تجاوز ذلك إلى قناعة سكان الأندلس بأن الحكم من حق بني أمية، وليس أدل على ذلك من أن المحاولة التي قادها بعض فقهاء قرطبة لخلع الحكم الربضي عام ١٨٩هـ/ ٨٠٥م، فقد حرصوا على أن يكون البديل أمويًا أيضا، فوقع اختيارهم على محمد

---

(٣٩) ابن الأثير، ج٥، ص ١١٢. ابن الأبار، ج١، ص ٣٦٣. ابن سعيد، ج١، ص ٤٠. ابن عذاري، ج٢، ص ٧٠ - ٧١. ابن خلدون، ج٤، ص ١٢٥.

Levi-Provencal, 1, p. 153.

(٤٠) ابن عذاري، ج٢، ص ٧٠-٧١.

بن القاسم بن المنذر بن عبدالرحمن(٤١). ومن هنا يتضح أن الهدف كان تغيير الحاكم فقط، وليس نقل الحكم عن بني أمية الذين تأصل حقهم في الحكم في نفوس سكان الأندلس، ونجحوا في كسب التأييد لحكمهم.

موقف الحكم الربضي من ولاية العهد:

على الرغم من الفتن والثورات المتعددة المكان والزمان التي واجهت الحكم الربضي، إلا أنه أولى مسألة ولاية العهد اهتماماً كبيراً، ولعل الحكم سار على منهج أسلافه من جعل الكفاءة هي الأساس لاختيار ولي العهد، لذا نجده يبعد أكبر أبنائه هشامًا عن ولاية العهد عندما تبين له عدم كفاءته وتمنيه موت والده ليصل إلى الحكم(٤٢). وأخذ الحكم الربضي البيعة بولاية العهد لاثنين من أبنائه، وهما عبدالرحمن ثم المغيرة، وذلك في يوم الأربعاء ١١ ذي الحجة عام ٢٠٦هـ/٨٢٢م(٤٣)، وهنا يبرز تساؤل ما الذي دفع الحكم الربضي إلى تعيين اثنين من أبنائه في ولاية العهد أهو تقليد لبني أمية في المشرق الذين نهجوا على تعيين اثنين من أبنائهم في هذا المنصب، أو رغبة في أن يظل الحكم في عقبه نكاية بمعارضيه من بني أمية، أو إبعاداً لابنه هشام، أو رغبة في تأكيد تثبيت حكم بني أمية وإظهار هيبتهم بعد اضطراب الأوضاع السياسية في عهده. ولعل هذه الأسباب مجتمعة دفعته لتعيين اثنين من أبنائه في ولاية العهد.

امتاز الحكم الربضي بالدهاء السياسي، وبرز ذلك في اختياره للوقت المناسب لأخذ هذه البيعة، وذلك بعد أن نجح في إعادة الاستقرار إلى الأندلس، والقضاء على الثوار، ومحاولة إيقاف التهديد النصراني في الشمال. فلم يواجه الحكم بأي معارضة على ذلك سواء من بني أمية أو من السكان.

---

(٤١) ابن القوطية، ص ١٠١. ابن عذاري، ج ٢، ص ٧١.

(٤٢) ابن حزم، جمهرة، ص ٩٨.

(٤٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. ابن سعيد، ج١، ص ٤٣. ابن عذاري، ج٢، ص ٧٧. المقري، ج١، ص ٣٢٩.

تولي عبدالرحمن الأوسط الحكم ونتائج ذلك:

تولى عبدالرحمن الأوسط الإمارة بعهد من والده وبإجماع من العامة والخاصة بعد وفاة أبيه، وقد أكد عبدالرحمن على ذلك العهد في خطبته التي ألقاها بعد توليه الحكم فقال: "عهد إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم، ولسنا ممن يخالف عهده"(٤٤).

ونتيجة لهذا الإجماع فلم يشهد عهده نزاعًا بسبب ولاية العهد ما عدا محاولة فشلت في مهدها تزعمها عم أبيه عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بالبلنسي. فقبل أن يبايع عبدالله البلنسي عبدالرحمن الأوسط بالحكم أرسل إليه - من مكان إقامته ببلنسية - يوضح له حقه بالحكم عنده وعند أبيه وجده، وطلب منه أن يضم إليه كورة تدمير، وأن يتنازل له عن خراجها(٤٥)، ولم ينتظر رد عبدالرحمن الأوسط، بل خرج من بلنسية إلى تدمير عام ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م، فسيطر عليها، وانضم إليه عدد من سكانها، وقرر الاتجاه إلى العاصمة قرطبة لملاقاة عبدالرحمن الأوسط، ولكنه أحس بالخوف من قوة عبدالرحمن الأوسط عندما علم بإعداد الجيوش لملاقاته، ومرض في تدمير، فاضطر إلى العودة إلى بلنسية حيث توفي هناك في عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٤م(٤٦)، وبموت عبدالله البلنسي انتهت محاولاته للوصول إلى الحكم والتي باءت بالفشل منذ عصر أخيه هشام، وتكرر هذا الفشل في عصر ابنه الحكم وحفيده عبدالرحمن.

لذا نستطيع القول: إن عصر عبدالرحمن الأوسط خلا من المنافسين له على الحكم من الإخوة والأعمام، لكن ما موقف عبدالرحمن الأوسط من منصب ولاية العهد؟

---

(٤٤) ابن حزم، جمهرة، ص ٩٨.

(٤٥) ابن سعيد، ج١، ص ٤٣.

(٤٦) ابن عذاري، ج ٢، ص ٧٧.

موقف عبدالرحمن الأوسط من ولاية العهد:

تولى عبدالرحمن الحكم بعد أبيه تنفيذاً للبيعة التي أخذت في عهد والده إلا أن المغيرة لم يتولَّ الحكم بعده كما نصت عليه البيعة، واختلف المؤرخون في سبب ذلك بين قائل بأن عبدالرحمن هو الذي خلع أخاه عن الحكم(٤٧)، وآخر يرى بأن المغيرة هو الذي خلع نفسه لأخيه عبدالرحمن، ومات في عهده(٤٨)، وصمت ثالث عن تفسير سبب ذلك على الرغم من إيراده لخبر تعيين الحكم لاثنين من أبنائه(٤٩).

وفي هذه المسألة من الصعوبة القطع برأي جازم في ضوء قلة المعلومات، فلماذا لم تنفذ وصية الحكم، ويتولى المغيرة الحكم بعد أخيه عبدالرحمن؟ وما مدى صحة الروايات التي تقول بأن عبدالرحمن خلع أخاه أو أن المغيرة خلع نفسه لأخيه؟ وما موقف المغيرة من أخيه عبدالرحمن إن كان قد خلعه؟ وما الدافع لعبدالرحمن لخلع أخيه وهو لم يعين ولياً لعهده؟ كما أن الرواية التي تشير إلى أن المغيرة خلع نفسه لأخيه تؤكد أيضاً على أن المغيرة مات في عهد عبدالرحمن. ولم نتمكن من العثور على تاريخ وفاة المغيرة. ولعلنا نستطيع القول في ظل هذه المعلومات القليلة، وعدم تعيين عبدالرحمن الأوسط ولياً لعهده في بداية حكمه، وحرصه على تأكيد التزامه بما عهد إليه في الخطبة التي ألقاها بعد توليه الحكم: إن عبدالرحمن لم يخالف وصية والده إلا أن المغيرة توفي في عهده. ولعل عدم بحث عبدالرحمن عن المؤهل من أبنائه لتولي هذا المنصب إلا بعد أكثر من عشر سنوات من بداية حكمه ليؤكد ذلك.

---

(٤٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ٩١. علي الغزنوي: السياسية والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، الرباط، دار المعارف، ١٩٨٧م، ص ٤٢٣.

(٤٨) ابن الأبار، ج ٢، ص ٣٦٣ – ٣٦٤.

(٤٩) ابن الأثير، ج٥، ص ٢٠٣. ابن الأبار، ج٢، ص ٣٦٤. ابن سعيد، ج١، ص ٤٧ – ٤٨. ابن خلدون، ج٤، ص ١٢٧. إبراهيم بيضون، ص ٢٣٢. السيد عبدالعزيز سالم، ص ٢٣٠.

وبعدم تولي المغيرة للحكم أيًّا كانت الأسباب فشلت محاولة الحكم الربضي في أخذ ولاية العهد لاثنين، ولم تتكرر في الأندلس.

ونهج عبدالرحمن الأوسط على خطا أسلافه من الاهتمام بولاية العهد، وجعل الكفاءة هي أساس ذلك الاختيار دون النظر إلى التأييد، وفي تلك الفترة كان بحاجة إلى تأييد الصقالبة وكبار الجند والوزراء، فاختبر أبناءه ليتعرف على من يستحق ذلك المنصب، فوجد أن ابنه محمدا هو أكفأ أبنائه ليتولى هذا المنصب، فقد جمع إلى كبر السن - فهو أكبر أبناء عبدالرحمن الأوسط(٥٠) - الحنكة السياسية والقيادة العسكرية، فبدأ عبدالرحمن الأوسط يعد ابنه محمدًا لهذا المنصب، فأنابه عنه في القصر عند خروجه في قيادة بعض الصوائف كما حدث في عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م(٥١). كما أشركه معه في بعض صوائفه، فقد ولاه ميمنة جيشه في غزوة لبنبلونة عام ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م، كما ولاه على سرقسطة فقام بعمله على أحسن وجه(٥٢)، وكلفه باستقبال الوفود القادمة من قارلة بن أدفونش ملك الفرنجة(٥٣). وعلى الرغم من ذلك فإن عبدالرحمن الأوسط لم يأخذ ولاية العهد لابنه محمد، واكتفى بذلك التفضيل، فيذكر ابن القوطية ذلك بقوله: "وكان قد مال آخر عمره إلى ابنه محمد"(٥٤)، وأكد ابن

---

(٥٠) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ): المقتبس في أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م، ج٢، ص ٢٢.

(٥١) ابن حزم، أبو عبدالله علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ): طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة، مكتبة الاستقامة، ١٩٦٤م، ص ١٤٤. ابن حيان، ج٢، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٥٢) ابن حيان، ج٢، ص ١٠٣. وبنبلونة مدينة في شمال الأندلس في إقليم جليقية، وتشتهر بالزراعة. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن أدريس الحموي الحسني (ت ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٩م، ج٢، ص ٧٢٥ - ٧٣٢.

(٥٣) ابن حيان، ج٢ ص ١٠٣ -١٠٤.

(٥٤) ابن القوطية، ص ١١٧.

حيان ذلك بقوله: "وأوعز - عبدالرحمن - إلى وزرائه وأهل خدمته أنه - محمد - مكان ولاية العهد، والمفوض إليه الأمر من بعده، وتقدم إليهم جميعاً وإلى القاضي وأهل الشورى بالركوب إلى محمد وغشيان مجلسه أيام الجمع عند صدورهم عن المسجد، ففعلوا ذلك"(٥٥)، ولعل هذا التفضيل لمحمد والتهيئة له لولاية العهد دون الحصول على تأييد كبار الصقالبة(٥٦) والوزراء، وأخذ البيعة له، وحسم الأمر سببٌ في محاولة طروب(٥٧) لإيصال ابنها عبدالله إلى الحكم، فبدأت أولاً بمحاولة كسب المؤيدين لابنها بمساعدة نصر الفتى(٥٨)، فنجحت باصطناع أهل القصر من الصقالبة والجند، وعندما تأكدت طروب من وجود المؤيدين لابنها من أصحاب القوة العسكرية طالبت عبدالرحمن الأوسط أن يولي ابنها ولاية العهد، واحتجت بأن كبر السن ليس سبباً كافياً لتفضيل محمد على عبدالله، وأكدت على أن

---

(٥٥) ابن حيان، ج٢، ص ١٠٤.

(٥٦) الصقالبة هم من الرقيق والسبي، يؤتى بهم من بلاد الفرنجة وجليقية ومختلف ثغور البحر الأبيض النصرانية، ويحضرون أطفالاً، ويربون تربية إسلامية، ثم يدربون على أعمال القصر والجيش، وكان أول استقدام لهم في عصر الحكم الربضي، ثم زادت أعدادهم وسَمَت مكانتهم؛ فتولوا مناصب الرياسة والقيادة. انظر ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصبي (ت ٣٦٧هـ): صورة الأرض، بيروت، مكتبة دار الحياة، ١٩٧٩م، ص ١٠٥- ١٠٦. محمد عبدالله عنان، ج ١، ص ٢٤٩ -٢٥٠.

(٥٧) طروب هي جارية للأمير عبدالرحمن الأوسط وحظية وأم ولده عبدالله، وهي الغالبة عليه من جميع نسائه، وكان مولعاً بها حريصاً على رضاها، وحاولت استغلال هذه المكانة لإيصال ابنها إلى الحكم؛ فجمعت المؤيدين حولها لهذا الغرض. انظر ابن القوطية، ص ٢١. ابن حيان، ج٢، ص ٨. ابن عذاري ،ج٢، ص ٩٢. المقري، ج١، ص ٣٣٣.

(٥٨) ابن حيان، ج ٢، ص ١٠٦. ونصر الفتى هو أبو الفتح (الخصي) بن أبي الشمول، كان والده من نصارى قرمونة، واعتنق الإسلام أيام الحكم الربضي، وكانت له مكانة خاصة لدى الأمير عبدالرحمن الأوسط، وكان المدبر لأمر القصر ومشاركًا لكبار الوزراء في تصريف شؤون الدولة، وزادت مكانته بعد انتصاره على المجوس عندما هاجموا إشبيلية عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، ولمكانته هذه استعانت به طروب لإيصال ابنها إلى الحكم. انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٩٦. ابن حيان، ج٢، ص ٨. ابن سعيد، ج١، ص ٤٩-٥١. ابن خلدون، ج ٤، ص ١٣٠.

عبدالرحمن الداخل قد عين هشامًا ولم يكن أكبر أبنائه، وكذلك فعل الحكم مع ابنه عبدالرحمن(٥٩)، عند ذلك قرر عبدالرحمن الأوسط استشارة وزرائه وكبار رجال الدولة، فمال مؤيدو طروب من الصقالبة وكبار الجند إلى ابنها عبدالله، أما أولو العقل من الوزراء وعلى رأسهم الوزير عيسى بن شهيد(٦٠)، فقد أيدوا تولية محمد، ولرأي هؤلاء مال عبدالرحمن الأوسط(٦١).

وعلى الرغم من المنافسة التي ظهرت من عبدالله لأخيه محمد، ومن تفضيل عبدالرحمن الأوسط لمحمد إلا أنه لم يعجل بأخذ ولاية العهد لمحمد لإنهاء التنافس بين الأخوين؛ مما أعطى فرصة لطروب للتآمر على قتل عبدالرحمن الأوسط وابنه محمد لإيصال ابنها عبدالله إلى الحكم مستغلة العداء الذي كان بين محمد بن عبدالرحمن ونصر الفتى الذي قدم لها المساعدة للتخلص من عبدالرحمن الأوسط وابنه محمد، ففي عام ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م استعان نصر بأحد الأطباء - الحراني - ليضع السم في الدواء لعبدالرحمن الأوسط، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لمعرفة عبدالرحمن بهذه المؤامرة، وإجباره لنصر على شرب ذلك السم، وبذلك تخلص من مدبر هذه المؤامرة(٦٢)، واكتفى عبدالرحمن الأوسط بالقضاء على نصر دون حسم لولاية العهد، فأصبح هناك مرشحان للحكم: عبدالله

---

(٥٩) ابن حيان، ج ٢، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٦٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦١) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٧.

(٦٢) ابن القوطية، ص ١١٧. ابن حيان، ج٢، ص ٨ - ١٠. ابن سعيد، ج ١، ص ٤٩. ابن خلدون، ج٤، ص ١٣٠. والطبيب الحراني هو يونس بن أحمد الحراني قدم إلى الأندلس من حران إلى الأندلس، وتوارث أبناؤه الطب في الأندلس في عصر الخلافة. انظر صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي (ت ٤٦٣هـ): طبقات الأمم، تحقيق حياة علوان، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م، ص ١٨٦. ابن أبي صيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم (٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٩٤- ٩٥.

بدعم من والدته طروب ومؤيديها من الصقالبة والجند، ومحمد بمؤهلاته الشخصية وتأييد الوزير عيسى بن شهيد له.

ولا نعلم سبباً لعدم تحديد عبدالرحمن الأوسط ولياً لعهده أهو حيرة في الاختيار بين محمد وعبدالله، أو خوفاً على محمد من تكرار تآمر طروب وابنها عبدالله على التخلص منه إذا عين ولياً للعهد، أو خوفاً من قوة الصقالبة التي بدأت تظهر وتؤثر على الأحداث، أو لمرض عبدالرحمن الأوسط الذي ظهرت بوادره في عام ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، واستمر لمدة ثلاث سنوات حتى وفاته عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، ومنعه من الخروج إلى الناس وأثر على قوته وحركته(٦٣).

ظهر التنافس بين محمد وعبدالله على ولاية العهد والحكم في أثناء مرض والدهما عبدالرحمن الأوسط، وأحس محمد بضرورة تأييد الصقالبة ليصل إلى الحكم، فتقرب من بعضهم، فاتفق مع حبيب الصقلبي وبعض الصقالبة؛ ليطلعوه على أخبار والده، وليخبروه بوفاة والده، ويساعدوه على دخول القصر قبل أخيه عبدالله(٦٤)، أما عبدالله فقد أوكل إلى بعض أتباعه حراسة باب المدينة المعروف بباب القنطرة المؤدي لقصر الإمارة مخافة أن يسبقه أخوه محمد إلى القصر في حالة موت والده(٦٥).

توفي عبدالرحمن الأوسط في عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م دون حسم لولاية العهد؛ مما أعطى فرصة لصقالبة القصر لحسم الأمر وتحديد الأمير، وليتمكنوا من ذلك أخفوا نبأ موت الأمير، وأغلقوا أبواب القصر، واجتمعوا ليلاً للتشاور فيمن يولون الإمارة: عبدالله أم محمد. وفي بادئ الأمر مال الصقالبة إلى اختيار عبدالله - على الرغم من معرفتهم بأنه لم تكن لديه مؤهلات لولاية الإمارة - تقديراً

---

(٦٣) ابن حيان، ج ٢، ص ١٨.

(٦٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٨.

(٦٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٩.

لوالدته طروب التي كانت لها مكانة خاصة لدى الصقالبة، ولكن حبيبًا الصقلبي جعل الشرط الأساسي للاختيار هو الكفاءة دون الأخذ بالميول الشخصية حرصاً على مصلحة البلاد وحفظاً للاستقرار السياسي؛ لذا رشح محمدًا لتولي الإمارة لكفاءته، فهو يحمل من الصفات ما يؤهله لتولي هذا الأمر، فوافق الصقالبة على رأي حبيب، وأرسلوا سراً إلى محمد يدعونه إلى القدوم إلى القصر متخفياً خوفاً من أخيه عبدالله وأعوانه(٦٦)، ونجح الصقالبة في إيصال محمد إلى القصر، وبايعوه بالإمارة، ثم أرسلوا إلى أخواته وأعمامه وأهل بيته ومواليه ووزرائه، فتمت له البيعة الخاصة في الليلة نفسها التي توفي فيها والده، ولم يخالفه أحد(٦٧)، ومن هنا برزت أهمية التأييد لإيصال الأكفأ إلى الحكم.

وعلى الرغم من الإنجازات العظيمة التي حققها عبدالرحمن الأوسط في عهده على المستوى السياسي والحضاري إلا أنه فشل في تعيين ولي للعهد، وإنهاء التنافس بين ابنيه محمد وعبدالله، فهذه المرة الأولىً التي يترك فيها منصب ولاية العهد شاغراً بعد مرور قرن من الزمن على قيام الحكم الأموي في الأندلس. وكاد هذا الوضع يعصف بأمن البلاد واستقرارها، فيتحول التنافس بين الأخوين إلى صراع للوصول إلى الحكم لولا موقف الصقالبة الذين تمكنوا بحسن سياستهم وتدبيرهم من حماية البلاد من الوقوع في تلك الكارثة، وفي الوقت نفسه زادت قوتهم السياسية العسكرية عندما نجحوا في إيصال من رأوه مناسباً للحكم.

---

(٦٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١١ - ١١٤. ابن سعيد، ج ١، ص ٥١ - ٥٢. عبدالمجيد نعنعي، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٦٧) ابن حيان، ج ٢، ص ١١١ - ١٢٠. ابن الأبار، ج ١، ص ١١٩. ابن سعيد، ج ١، ص ٥٢. محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول من الفتح إلى بداية عصر الناصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ص ٢٩٠.

موقف محمد بن عبدالرحمن من ولاية العهد:

إن وصول محمد بن عبدالرحمن بتلميح من والده وتأييد من الصقالبة الذين أخذوا له البيعة قبل إعلان نبأ وفاة والده كان سببًا في حماية البلاد من الوقوع في صراع بين ابني عبدالرحمن الأوسط محمد وعبدالله، فثبتوا بذلك حكم بني أمية؛ وكان هذا دافعاً لمحمد بن عبدالرحمن أن يهتم بولاية العهد، فأخذ يعد ابنه المنذر لهذا المنصب، فولاه قيادة الجيوش المتجهة إلى النصارى في الشمال كما حدث في عامي ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م و٢٦٨هـ/ ٨٨٢م(٦٨)، كما قاد الجيوش ضد عمر بن حفصون(٦٩)، وأصبحت له مكانة عظيمة في عهد والده(٧٠)، ولم يكتف محمد بإعداد ابنه المنذر لهذا المنصب، بل أخذ له البيعة بولاية العهد والحكم من بعده(٧١)، ولعل خوف محمد من تكرار ما حدث له كان دافعًا له لأخذ البيعة لابنه المنذر.

وفي عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م، عند وفاة محمد بن عبدالرحمن كان ابنه وولي عهده المنذر محاصراً لعمر بن حفصون في ببشتر، فعاد مسرعاً إلى قرطبة لتولي الإمارة، وبويع له بالحكم(٧٢). ويبدو أن تولي المنذر للإمارة حظي بتأييد عام من بني أمية ومن السكان والجيش، فلم يشهد عصره صراعًا على منصب ولاية العهد. ولعل قصر مدة حكم المنذر كانت السبب وراء عدم تعيينه ولياً لعهده؛ فاستغل هذا الوضع أخوه عبدالله، وأخذ يخطط للوصول إلى الحكم، فكيف تم له ذلك ؟.

---

(٦٨) مؤلف مجهول، ص ١٤٩. المقري، ج١، ص ٣٣٦.

(٦٩) عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أدفونش، القس هو أخطر المولدين ضد بني أمية ظهرت ثورته في جنوب الأندلس في منطقة رية، ودامت نصف قرن، بدأت في عصر محمد بن عبدالرحمن ٢٦٧هـ، واستمرت حتى قضى الناصر على أبناء عمر بن حفصون عام ٣١٥هـ، وكلفت هذه الثورة أمراء بني أمية الكثير من الجهد والمال، انظر ابن عذاري، ج٢، ص ١٠٤، و ما بعدها. ابن خلدون، ج٤، ص ١٣٤-١٣٥.

(٧٠) ابن سعيد ج ١، ص ٥٤.

(٧١) ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٣.

(٧٢) مؤلف مجهول، ص ١٤٩. ابن الأثير، ج٨، ص ٢٩٢. ابن سعيد، ج١، ص ٥٣.

وصول عبدالله بن محمد للحكم:

اتسم عبدالله بن محمد بالذكاء والدهاء، فعلى الرغم من رغبته في الوصول إلى الحكم، فإنه لم يستخدم أسلوب القوة في منافسة أخيه المنذر لمعرفته بشرعية حكم المنذر، بل أخذ في تحين الفرصة المناسبة للوصول إلى هدفه، وبدأ في التقرب من أخيه المنذر حتى وثق به المنذر، وأرسل إليه عندما مرض وهو محاصر لعمر بن حفصون في ببشتر عام ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م لينوب عنه في ذلك الحصار(٧٣)، فاستغل عبدالله هذا الوضع المتمثل بمرض أخيه وبعده عن العاصمة، وعدم تعيينه ولياً لعهده لقصر مدة حكمه التي لم تتجاوز العامين(٧٤)، فسعى للتخلص من أخيه، فأغرى الحاجم بالمال على أن يسم المبضع عند حجامة المنذر، ففعل ذلك؛ فكان ذلك سبباً في وفاة المنذر في عام ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م(٧٥)، وقيل: إن الذي سم المنذر فتاه ميسور لخوفه من المنذر الذي توعده للإيقاع به عند العودة إلى قرطبة.

وللجمع من الروايتين نستطيع القول: إن عبدالله بن محمد استغل خوف الفتى ميسور وحقده على أخيه المنذر؛ فأغراه وشجعه على التخلص منه، فكان عبدالله المحرض، وميسور المنفذ. ولم تذكر المصادر موقف عبدالله من الفتى ميسور بعد موت المنذر هل كافأه بالمال كما وعده أم تخلص منه لعدم ولائه وحتى لا يفتضح أمره.

وبموت المنذر مسموماً أظهر عبدالله رغبته في الحكم، فبعد أن أخبر الوزراء وقادة الجيش والقرشيين بوفاة أخيه رشح نفسه للحكم ودعاهم إلى مبايعته، ويظهر ذلك ابن حيان بقوله: "ودعاهم - عبدالله - إلى البيعة له، فسارعوا إليها، وبايعوه جميعاً مختارين

---

(٧٣) ابن عذاري، ج٢، ص ١١٨. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ١٢٥.

(٧٤) ابن عذاري، ج٢، ص ١١٩. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٣ - ٢٥.

(٧٥) ابن القوطية، ص ١٣٣. ابن سعيد، ج١، ص ٥٤. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٦.

له"(٧٦)، وبذلك نجح في الحصول على المؤيدين لحكمه، وهذه المرة الأولى التي تتم مبايعة أمير أموي بالحكم خارج العاصمة قرطبة، ولعل عبدالله أحس بخطورة هذا الوضع، وخاف من ظهور منافسين له في قرطبة؛ فأرسل إلى أكبر أبنائه، وأمره بدخول قصر الإمارة بقرطبة، وضبط البلاد حتى يصل إليه(٧٧)، وبعد أخذ البيعة لعبدالله في ببشتر اتجه إلى العاصمة قرطبة حاملاً معه جثمان أخيه المنذر، وهناك أخذت له البيعة العامة، وأرسل كتاب البيعة إلى كور الأندلس المختلفة(٧٨).

وبذلك يعد وصول عبدالله بن محمد للحكم ظاهرة فريدة في عصر إمارة بني أمية في الأندلس، فهو الأوحد بين بني أمية الذي تولى الحكم دون تصريح أو تلميح بولاية العهد، ويصف ذلك ابن حيان بقوله: "حكم دون بيعة متقدمة ولا وصية متبعة"(٧٩)، وخالف عبدالله بتوليه الحكم بعد أخيه ما كان متبعاً لدى بني أمية من تولي الابن بعد أبيه، ولكن سار على النهج نفسه من جمع المؤيدين لحكمه.

يعد وصول عبدالله بن محمد للحكم ظاهرة فريدة في عصر إمارة بني أمية

ومن الملفت للنظر أنه على الرغم من وصول عبدالله إلى الحكم دون ولاية العهد فإنه حصل على تأييد الخاصة والعامة بقرطبة(٨٠)، فلم يظهر له منافس من بني أمية في بداية حكمه، فهل يعد هذا زهداً من بني أمية بالحكم لكثرة الثورات والفتن التي عانت منها البلاد(٨١)،

---

(٧٦) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ): المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق ملشور انطونيه، باريس، ١٩٣٧م، ج٣، ص ٢.

(٧٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. ابن عذاري، ج ٢، ص ٢٠١.

(٧٨) ابن حيان، ج٣، ص ٢. ابن عذاري، ج ٢، ص ١٢١.

(٧٩) ابن حيان، ج ٣، ص ١.

(٨٠) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢.

(٨١) عن الثورة انظر ابن عذاري، ج٢، ص ١٢١. ابن خلدون، ج٤، ص ١٣٢-١٣٤.

أم خوفاً من بطش عبدالله وشدته فقد عرف عنه أنه كان "قتالاً تهون عليه الدماء"(٨٢)، أو لحصوله على تأييد الجيش؟ ولعل هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء عدم ظهور منافس لعبدالله.

موقف عبدالله بن محمد من ولاية العهد:

لعل وصول عبدالله بن محمد إلى الحكم دون ولاية العهد دافع له بأن يهتم بولاية العهد منذ توليه الحكم؛ فرشح أكبر أبنائه محمدًا لولاية العهد، وبدأ يعده لتولي الحكم، فولاه مدينة إشبيلية، وأنابه عنه في قرطبة عند خروجه منها، ولكن هذا الاختيار لم يرض المطرف الذي كان يتطلع إلى ولاية العهد؛ فحقد على أخيه محمد، وبدأ يخطط للتخلص منه، واتجه إلى إثارة والده ضده؛ فأخذ بالوشاية ضده، ونتج عن ذلك أن سجن عبدالله ابنه محمدًا بوشاية من المطرف، إلا أن محمدًا تمكن من الهروب من السجن، واتجه إلى أكبر الثوار ضد بني أمية - عمر بن حفصون - الذي رحب بمحمد لإضعاف الأمير عبدالله وإشغاله في صراع مع أبنائه عن محاربته، وظل عنده حتى عفا عنه والده؛ فعاد إلى قرطبة، ولكن هذا العفو لم يدم طويلاً؛ إذ تمكن المطرف من إثارة والده ضد أخيه محمد، فسجنه والده في بعض حجر القصر، ولكن المطرف لم يكتف بذلك، فقتل أخاه في السجن عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م مستغلاً خروج والده لإخماد بعض الثوار، وإنابته على القصر، والسماح له بقتل محمد إذا خالف.

وقيل: إن الأمير عبدالله حزن لمقتل ابنه محمد إلا أنه لم يتخذ أي إجراء ضد ابنه المطرف، ولعل هذا يدفعنا للقول بأن مقتل محمد كان بتدبير من الأمير عبدالله، وتنفيذ ابنه المطرف عقاباً له على خروجه عن الطاعة، ورغبة منه في تماسك البيت الأموي، ووقوفه صفاً

---

(٨٢) ابن حيان، ج٣، ص ٤١. ابن عذاري، ج ٢، ص ١٥٦. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٦.

واحداً أمام الثوار(٨٣). وبقتل محمد فشلت محاولة عبدالله الأولى في اختيار ولي لعهده.

وعلى الرغم من نجاح المطرف في التخلص من أخيه محمد وقيادته بعض الجيوش كما حدث في عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م عندما قاد الجيش لمحاربة عمر بن حفصون إلا أنه فشل في الوصول إلى الحكم، فلم يعينه والده ولياً للعهد؛ لذا قرر الثورة ضد أبيه وخلعه، فشعر الأمير عبدالله بنوايا ابنه المطرف، فأراد أن يشغله عن ذلك، فولاه قيادة الجيش لإخضاع الثوار في غرب الأندلس في عام ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م، ونظراً لعدم ثقة الأمير عبدالله بابنه المطرف؛ فقد أشرك معه في القيادة الوزير عبدالملك بن عبدالله بن أمية بن يزيد، وكان المطرف يخشاه، ويرى أنه لا يستطيع خلع والده أو معارضته مع وجود عبدالملك؛ لذلك قرر المطرف التخلص منه، وقد استعان بذلك بكريب بن خلدون وإبراهيم بن الحجاج - الثائرين في إشبيلية - على قتل عبدالملك، وبعد قتله قرر أن يعلن خلعه لأبيه إلا أن الأمير عبدالله أرسل إلى أهل إشبيلية وشذونة يحذرهم من طاعة ابنه المطرف أو مساعدته، وبذلك فقد المطرف المؤيدين؛ فاضطر إلى طلب الأمان من والده، فوافق الأمير عبدالله على ذلك استدراجاً للمطرف للعودة إلى قرطبة، وبعد عودته إلى قرطبة أمر عبدالله بقتل ابنه المطرف بعد شهر ونصف انتقاماً لمقتل وزيره عبدالملك، ورغبة في تماسك البيت الأموي حتى لا يستغل الثوار هذا الوضع لإضعاف بني أمية وتفريق كلمتهم(٨٤).

---

(٨٣) ابن القوطية، ص ١٣٤. ابن حيان، ج ٣، ص ٤١. عبدالواحد المراكشي، محيي الدين أبو محمد (ت ٦٤٧هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٩٦٣م، ص ٥٤. ابن الأبار، ج٢، ص ٣٦٧. ابن سعيد ج١، ص ١١٢. ابن عذاري، ج٢، ص ١٥٠. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٨. ابن خلدون، ج٤، ص ١٣٦- ١٣٧.

(٨٤) ابن القوطية، ص ١٣٤- ١٣٥. ابن حيان، ج ٣، ص ١٠٨. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٩. محمد عبدالله عنان، ج ١، ص ٣٤٩.

وبمقتل المطرف باءت محاولات عبدالله في تعيين أحد أبنائه ولياً للعهد بالفشل، إذ ظهر التنافس على المنصب بين ابنيه محمد والمطرف، واللذين فقدا حياتهما للصراع حول هذا المنصب، وبعد هذا الفشل توقف عبدالله عن ترشيح أحد أبنائه لولاية العهد خوفاً على حكمه.

ولعل عدم حصول عبدالله على مؤيدين لأحد المرشحين لولاية العهد في ظل الأوضاع السياسية التي كانت تعاني منها الأندلس حيث انحصر حكم بني أمية في قرطبة وما حولها دفع بالمرشحين إلى اللجوء إلى المتنزين أو الثوار طلباً لكسب تأييدهم في الوصول إلى الحكم والقضاء على والدهما. وبانعدام وجود المؤيدين فشل عبدالله في حسم مسألة ولاية العهد لأحد أبنائه.

ولعل خوف عبدالله بن محمد من تكرار الثورة عليه من قبل أبنائه دفعه للبحث عن مرشح لولاية العهد لا يتطلع إلى منافسته في الحكم، وليضمن استمرار الحكم في عقبه؛ لذا فكر في نقل ولاية العهد من الأبناء إلى الأحفاد، فاحتوى حفيده عبدالرحمن بن محمد، الذي كان صغيرًا في السن، وأسكنه في قصره وعُني به وقربه منه وأدبه، وعلمه أمور السياسة، وجعله كاتم سره(٨٥)، وألمح عبدالله بتفضيله لحفيده عبدالرحمن في عدد من المواقف، منها: أن الأمير عبدالله أجلس حفيده عبدالرحمن مكانه في بعض الأعياد؛ ليسلم الجند عليه(٨٦)، كما أنه رمى بخاتمه - خاتم الملك - إلى حفيده كناية عن استخلافه(٨٧)، وعلى الرغم من إعداد الأمير عبدالله لحفيده لولاية العهد وترشيحه لهذا المنصب، إلا أنه لم يأخذ له البيعة بولاية العهد، ولعل ذلك خوف ظهور معارضته في البيت الأموي من نقل الحكم من الأبناء إلى الأحفاد.

---

(٨٥) ابن حيان، ج ٣، ص ٣٩.

(٨٦) ابن عذاري، ج ٢، ص ١٥٧. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٩.

(٨٧) ابن عذاري، ج ٢، ص ١٥٧. ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص ٢٩.

لكن نجح مخطط الأمير عبدالله، فبعد وفاته عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، بويع بالإمارة حفيده عبدالرحمن على الرغم من صغر سنه الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرين(٨٨)، ووجود أعمامه وأعمام أبيه إلا أنه حظي بتأييد جميع بني أمية، وكان عَمَّاه أبان والعاصي أول من بايعه(٨٩)، ولعل الاضطراب السياسي الذي عانت منه الأندلس من كثرة المتنزين والثوار داخل الأندلس وزيادة الخطر النصراني في الشمال وقلة الموارد المالية، حيث إن الأمير عبدالله استنفذ ما في خزائن بني أمية من مال محاولاً القضاء على الثورات، كان دافعاً لأبناء الأمير عبدالله لمبايعة ابن أخيهم كما رشحه والدهم؛ وبذلك وصل عبدالرحمن بن محمد (الثالث) للحكم بمقتضى شرطي الكفاءة والتأييد، فقد أعده جده لتولي هذا المنصب، وحصل على تأييد جميع بني أمية.

عند النظر في عصر الأمير عبدالله تبين لنا أنه الأوحد بين بني أمية الذي وصل إلى الحكم دون ولاية للعهد أو تلميح بالحكم، فقد اغتصب الحكم من أخيه المنذر عندما تسبب في موته، فكان أول من تولى الحكم بعد أخيه مخالفاً المتبع في أن يتولى الابن بعد أبيه. وهو أول من سجن أو قتل أبناءه خوفاً من منافستهم له على الحكم، وهو أول من نقل الحكم من الأبناء إلى الأحفاد.

---

(٨٨) ابن عذاري، ج ٢، ص ١٦٣. النويري، ج ٢٣، ص ٣٥٦.

(٨٩) الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي الأزدي (ت ٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة - بيروت، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤م، ج١، ص ٤٢. ابن الأثير، ج ٦، ص ١٤٣. عبدالواحد المراكشي، ص ٥٤. ابن عذاري، ج٢، ص ٢٥٧. المقري، ج١، ص ٣٣٧. محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقية ٦٤ -٨٩٧هـ/ ٦٨٣-١٤٩٢م دراسة ونصوص، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ١٥٦.

الخاتمة:

يتبين مما سبق عدد من النتائج حول ولاية العهد في إمارة بني أمية في الأندلس؛ إذ أظهر أمراء بني أمية اهتماماً كبيراً في ولاية العهد رغبة منهم في استمرار حكمهم في الأندلس، خاصة وأنهم حديثو عهد بالمنطقة، إلا أنهم لم يضعوا شروطًا محددة لمن يتولى هذا المنصب، واكتفوا بجعل الكفاءة والتأييد شرطين أساسيين في اختيار ولي العهد، وتعد الكفاءة أمراً نسبياً يرجع تقديره للأمير نفسه. ونتيجة لعدم تحديد شروط لولي العهد؛ فقد تولى الحكم الابن بعد أبيه سواء أكان أكبر الأبناء أم لا، كما حدث مع هشام الرضا والحكم الربضي وعبدالرحمن الأوسط الذين تولوا الحكم، ولم يكونوا أكبر الأبناء، وتولى الحكم الربضي ومحمد بن عبدالرحمن وهو أكبر الأبناء، وقد يتولى الأخ بعد أخيه كما حدث مع عبدالله بن محمد بعد أخيه المنذر، أو الحفيد بعد جده كما حدث مع عبدالرحمن بن محمد (الثالث).

كان التأييد شرطاً أساسياً لبني أمية في ولاية العهد؛ ففي بداية حكمهم حرص عبدالرحمن الداخل على تأييد جل سكان الأندلس لولي عهده هشام؛ ليضمن بذلك بقاء بني أمية في الحكم، وسار هشام الرضا على نهجه لتثبيت حكم بني أمية. ثم تحول التأييد من تأييد عامة السكان لوصول بني أمية للحكم وتثبيت أقدامهم في الأندلس إلى تأييد الخاصة من رجال الدولة والجيش لحسم النزاع بين المؤهلين للحكم كما حدث مع أبناء عبدالرحمن الأوسط، فلم يحسم الأمر لمحمد إلا بعد أن أيده الجند الصقالبة، كما نجح عبدالله بن محمد في الوصول إلى الحكم بتأييد الجيش له دون أن يكون مرشحاً للحكم. وانتهى تصارع المطرف ومحمد ابني عبدالله على ولاية العهد بالفشل لحرصهما على كسب المؤيدين لهما من المتنزين على بني أمية. وفي نهاية عصر الإمارة تقلص التأييد على

تأييد بني أمية للمرشح للحكم كما حدث مع عبدالرحمن بن محمد (الثالث) الذي اكتفى بتأييد بني أمية له للوصول إلى الحكم؛ لأن جل مناطق الأندلس قد خرجت عن طاعة بني أمية، وبذلك فقد التأييد العام للسكان، كما ضعفت قوة الجيش في أواخر عهد عبدالله بن محمد وفشل في القضاء على الثوار، لذا لم يكن لهم أي قوة سياسية.

إن عدم مراعاة كون المرشح لولاية العهد أكبر الأبناء شرطاً لولاية العهد نتج عنه تباين في أعمار أمراء بني أمية عند الوصول إلى الحكم، فمنهم من تجاوز الأربعين كهشام الرضا والمنذر وعبدالله بن محمد(٩٠)، ومنهم من كان في الثلاثين من عمره كعبدالرحمن الأوسط وابنه محمد(٩١)، وكان عمر البعض في العشرين كالحكم الربضي وعبدالرحمن بن محمد(٩٢). وقد أثبت الواقع أن السن لم يكن شرطاً أساسياً لنجاح الحكم، ففي الوقت الذي نجح فيه الحكم الربضي في تثبيت حكم بني أمية وهو في السادسة والعشرين، ونجح عبدالرحمن بن محمد (الثالث) في إعادة الوحدة إلى الأندلس بعد الاضطراب السياسي في عهد جده وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، وقد فشل عبدالله بن محمد وهو في الأربعين من عمره في القضاء على الثوار طوال حكمه الذي استمر ربع قرن، بينما تمكن هشام الرضا من المحافظة على الاستقرار السياسي الذي ورثه عن والده عبدالرحمن الداخل وهو في الأربعين من عمره.

نهج أمراء بني أمية على أخذ البيعة لواحد من الأبناء ما عدا الحكم الربضي الذي أخذ البيعة بولاية العهد لاثنين من أبنائه، وهما عبدالرحمن والمغيرة، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل لعدم تولي

---

(٩٠) ابن عذاري، ج ٢، ص ٦١، ١١٣، ١٢٠-١٢١.

(٩١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨١، ٩٤.

(٩٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٨، ١٥٨.

المغيرة الحكم، ونتيجة لهذا الفشل لم يتكرر أخذ البيعة بولاية العهد لأكثر من واحد.

حرص أمراء بني أمية على تعيين ولاة عهدهم وأخذ البيعة لهم ضماناً لاستقرار الأوضاع السياسية بعد وفاتهم، ونجحوا في ذلك. ولم تؤخذ ولاية العهد في الأندلس في عصر الإمارة في حالات ثلاث، وترتب عليها آثار سلبية على الأوضاع السياسية في البلاد:

الأولى: في عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط، ونتج عن ذلك تدخل أطراف من خارج البيت الأموي؛ فقد أدى الصقالبة دوراً في إيصال محمد بن عبدالرحمن إلى الحكم؛ فثبتوا بذلك الحكم الأموي، وحموا البلاد من صراع على العرش، إلا أن دورهم هذا كان سبباً في زيادة قوتهم في عهده، فأثر ذلك على قوة الأمير الأموي، فبعد أن كانت الأندلس في أوج قوتها في عهد عبدالرحمن الأوسط بدأ الاضطراب يدب إليها في بداية عهد محمد؛ حيث بدأت الثورات المعارضة لبني أمية تظهر في مناطق الأندلس المختلفة، كما زاد ضغط النصارى في الشمال على حدود المسلمين، ولعل من الأسباب التي أدت إلى ذلك ضعف شخصية الأمير الأموي مقابل زيادة قوة الصقالبة الذين رأوا أن لهم الفضل في إيصال محمد إلى الحكم.

الثانية: في عهد المنذر بن محمد الذي لم يعين أو يلمح لولي عهده؛ مما أعطى فرصة لأخيه عبدالله للتخلص منه والوصول إلى الحكم، وعلى الرغم من نجاح عبدالله بن محمد في الوصول إلى الحكم دون ولاية للعهد، إلا أنه لم يتمكن من إظهار هيبة الأمير الأموي أمام سكان الأندلس خاصة بعد أن خرج عليه أبناؤه، فكثر الخارجون عليه، وانحصرت سيطرة بني أمية على قرطبة وما حولها فقط.

الثالثة: في عهد عبدالله بن محمد الذي لم يعين ولياً لعهده، ولكنه ألمح باختياره حفيده عبدالرحمن بن محمد، وقد نفذت رغبته

بعد موته؛ فتولى الحكم من بعد حفيده، وتولى الحكم والأوضاع السياسية متردية إلا أنه كُتب له النجاح في إنعاش حكم بني أمية.

إن اختلاف النظرة لولاية العهد بين الأمراء وأبنائهم نتج عنه صراع بين الأبناء حول الحكم سواء أكان الصراع بعد الوصول إلى الحكم أو قبله، ففي الوقت الذي كان هدف الأمراء ضمان الاستقرار في البلاد باختيار الأكفأ كان هدف الأبناء الرغبة الشخصية لكل منهم في الوصول إلى الحكم دون النظر إلى مصلحة البلاد؛ فنتج عن ذلك صراع بين الإخوة أو الأعمام حول الحكم، كما حدث مع هشام الرضا وأخويه سليمان وعبدالله، والحكم الربضي وعميه سليمان وعبدالله، أو التنافس بين الإخوة، كما حدث بين محمد وعبدالله أبناء عبدالرحمن الأوسط، فحاول كل منهما طوال حكم والده في الوصول إلى ولاية العهد، إلا أن هذا التنافس لم يحسم لأي منهما طوال حياة والدهم. ولقد بلغ التنافس بين الإخوة للوصول إلى الحكم إلى حد القتل كما حدث مع المطرف بن عبدالله الذي قتل أخاه محمداً وهو في السجن.

إن الرغبة في الوصول إلى الحكم تجاوزت التنافس بين الإخوة إلى محاولة البعض التخلص من الأمراء للوصول إلى الحكم، فأخفقوا في مرات، ونجحوا في مرات أخرى كما حدث في عصر عبدالرحمن الأوسط حينما حاولت طروب التخلص منه لإيصال ابنها عبدالله للحكم، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل، وكذلك فشلت محاولة المطرف بن عبدالله الذي حاول الثورة على أبيه وخلعه للوصول إلى الحكم، وبالمقابل فإن عبدالله بن محمد نجح في التآمر على أخيه المنذر وقتله للوصول إلى الحكم.

إن فشل أمراء بني أمية في إيجاد نظام ثابت لولاية العهد كان له آثار سلبية على علاقة أبناء البيت الأموي مع بعضهم وعلى الوضع السياسي في الأندلس، فقد ساءت العلاقة بين أبناء البيت الأموي،

وكان هدف كل منهم الوصول إلى الحكم، حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى اللجوء إلى المتنزين الخارجين على بني أمية إما طلباً للحماية أو رغبة في المساعدة لخلع الأمير، أو محاولة طلب العون والمساعدة من أعداء بني أمية الخارجين؛ فمن النوع الأول ما حدث مع محمد بن عبدالله الذي لجأ إلى عمر بن حفصون طلباً للحماية عندما خاف من بطش والده، وكما حاول المطرف بن عبدالله الاستنجاد بالثوار في إشبيلية لخلع والده. ومن النوع الثاني محاولة عبدالله بن عبدالرحمن الاستنجاد بشارلمان ملك الفرنجة في الثورة ضد ابن أخيه الحكم الربضي، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل.

ولعل لهذا الفشل في ولاية العهد أثر على الأوضاع السياسية من وجهتين:

الأولى: أن انشغال أمراء بني أمية في الصراع على الحكم كلف الأمراء الكثير من الجهد والمال؛ مما أشغلهم بعض الوقت عن مواجهة الأخطار الخارجية، كما حدث في عصر الحكم الربضي حيث استغل البشكنس انشغال الحكم بالصراع مع عميه على الحكم، فنجحوا في السيطرة على بنبلونة، وضمها إلى حكم جليقية، واستوريش عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م الذين هاجموا الحدود الشمالية للمسلمين، وأحدثوا فيها الكثير من الأضرار، كما استغل شارلمان ملك الفرنجة هذا الوضع، وأخذ بالضغط على مدينة برشلونة حتى تمكن من اقتطاعها عام ١٨٥هـ/ ٨٠١م. وهاجم النصارى عام ٢٣٧هـ/ ٨٥١م قاصية الثغر الأعلى مستغلين مرض عبدالرحمن الأوسط، وتنازع ابنيه عبدالله ومحمد على ولاية العهد، وتوقف الصوائف ضدهم(٩٣).

والثانية: أن مكانة الأمير الأموي قد اهتزت وضعفت في أنظار سكان الأندلس في بعض الفترات، كما حدث في عهد الحكم الربضي

---

(٩٣) ابن الأثير، ج٥، ص ١١٠- ١١١. النويري، ج ٢٣، ص ٣٦٢-٣٦٣.

عندما حاول الفقهاء عام ١٨٩هـ/ ٨٠٥م خلعه وتعيين محمد بن القاسم بن المنذر بن عبدالرحمن الداخل مكانه، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل(٩٤)، وكذلك عندما تدخل الصقالبة في إيصال محمد بن عبدالرحمن إلى الحكم وزيادة نفوذهم، فشجع هذا الوضع بعض سكان الأندلس على الثورة ضد بني أمية، فظهر عدد من المنتزين والثوار في مناطق الأندلس المختلفة حتى انحصرت سيطرة بني أمية في عهد عبدالله بن محمد على قرطبة والمناطق المحيطة بها فقط، وكان لهذا الاضطراب الداخلي أثر في زيادة الخطر الخارجي.

وعلى الرغم مما سبق فإن بني أمية نجحوا في إيجاد حكم متوارث لهم في بلاد الأندلس، وثبتوا أقدامهم في الأندلس قرابة قرنين من الزمان.

---

(٩٤) ابن عذاري، ج ٢، ص ٧١. النويري، ج ٢٣، ص ٣٦٤- ٣٦٥.